المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية / السنة الحادية والعشرون/ العدد 80/ شهر اذار/ سنة 2024
Arcif = 0.1538 تاريخ قبول النشر/2023/8/28
Iraq Journal For Economic Sciences / ISSN:1812-8742 / ISSN ONLIN:2791-092X
https://doi.org/10.31272/IJES2024 80.A2

قراءة في مقال
أهمية الغباء في البحث العلمي

The importance of stupidity in scientific research

أ.م.د. أحمد عبد الزهرة حمدان

Ahmed Abdul Zahra Hamdan
ahmed.ah@uomustansiriyah.edu.iq
كلية الادارة والاقتصاد
الجامعة المستنصرية

في البدء وانا أقلبُ بعض المواقع العلمية على جهاز الحاسب المحمول شدَّ انتباهي عنوان المقالة الغريب **" أهمية الغباء في البحث العلمي"** وبعد القراءة الكاملة وجدت انه يحمل في طياتهِ الكثير من الحقيقةِ التي رأيتها في نفسي تارةً وفي طلبتي تارةً أخرى وعرفتُ بأن هذا الشعور هو بداية الابداع البحثي. قبل عرض بعض أفكار هذا المقال، ينبغي ان نعرف ان كاتب المقالة هو **MartinSchwartz** حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة **Stanford** وعضواً في الهيئة التدريسية/ جامعة **Harvard** قبل انتقاله الى جامعة **University of Yale** عام 2011. كتب السيد مارتن أكثر من 125 بحث علمي في تخصصه وطبقاً لموقع الباحث العلمي **Google Scholar** ان عدد الاقتباسات من بحوثهِ **Citations** بلغت **65023** وبمقياس **122h-index =** وهي ارقام محترمة جداً في عالم البحث العلمي، المقال جاء ضمن **Journal of Cell Science** وهي من المجلات العلمية الرصينة ضمن ابرز مستوعبين علميين لتصنيف المجلات هما **Web of Since** و **Scopus** . يقول **Martin** في مقالتهِ، قبل مدة زمنية قصيرة قابلت بالصدفة صديقةً قديمة من زملاء الدراسة في مرحلة الدكتوراه لم تكمل الدراسة في حينها وتركتها مبكراً قبل اكمال متطلباتها. وبعدها انتقلت تلك الصديقة الى كلية الحقوق في جامعة هارفارد من اجل الحصول على البكالوريوس في الحقوق وهي الان محامية نشطة في منظمة بيئية كبرى. وبعد محادثة وسؤال عن الحياة الاجتماعية وحال العمل تحولت المحادثة حول سبب تركها الدراسات العليا وكانت المفاجأة بالنسبة لي عندما قالت ان السبب الحقيقي وراء تركها للدراسة بأنها جعلتها تشعر بالغباء! واستدركت بالقول، اتضح لي بعد مرور عامين اني أصبحت أسيرة الشعور بالغباء طيلة مرحلة الدكتوراه واصبحت مستعدة لفعل أي شيء أخر سواها. يقول **Martin** بالحقيقة في وقت ماضي من أيام الدراسات العليا كنت اراها من المع الطلبة واكثرهم تألقاً وفعلاً هو ما اثبتته من خلال مهنتها كمحامية في الوقت الحاضر. ان ما قالته تلك الصديقة أزعجني حول الشعور بالغباء، لملمتُ افكاري وتصوراتي ومشاعري حول البحث العلمي خلال مسيرتي التي لا زالت مستمرة، بقيتُ أفكر بالموضوع وفي وقت ما في اليوم التالي استنتجت بأن العلم يجعلني أشعرُ بالغباءِ كذلك ؟ وفي الواقع انني اعتدت هذا الشعور. فأنا ابحث بكل جهد ونشاط عن موضوع بحثي وعلمي جديد مبتكر فيه تطوير لفجوة نظرية أو فجوة تطبيقية يجعلني أشعر بالغباء ! بدون هذا الشعور يبدو اني لم أجد شيء مبتكر وانما مجرد شيء تقليدي تم تناوله مسبقاً من اخرين. ان سبب حبنا للدراسة الثانوية والدراسات الأولية في الكلية هو مادة دراسية واضحة تتم قراءتها والاطلاع عليها جيداً وتغطيتها وتحقيق تلك المعرفة بحدها الأدنى والتي تعطي شعور بأنك قد حققت

تاريخ قبول النشر/2023/8/28 Arcif = 0.1538
Iraq Journal For Economic Sciences / ISSN:1812-8742 / ISSN ONLIN:2791-092X
https://doi.org/10.31272/IJES2024 80.A2

المطلوب بل وستشعر بالذكاء. بينما الدكتوراه تختلف اذ ان عليك القيام بمشروع بحثي وكيفية تأطير الأسئلة التي من شأنها ان تحقق الإجابات على المشاكل التي لم يبحثها احد قبلك والتي ستؤدي الى اكتشافات مهمة لطرق او أفكار تساعد في تطوير موضوعة البحث عن طريق تصميم تلك التجربة وتفسيرها بحيث تكون الاستنتاجات مقنعة تماماً، يقول **Martin** في اطروحتي للدكتوراه كان المشروع البحثي متعدد التخصصات وكنت كلما واجهت مشكلة أزعجت أعضاء هيئة التدريس في قسمي الذين كانوا خبراء في مختلف التخصصات التي احتاجها أتذكر ذلك اليوم الذي اخبرني فيه **Henry Taube** (الفائز بجائزة نوبل بعدها بعامين) عند سؤالي عن مشكلة واجهتها في مشروعي بأنه لا يعرف كيفية حلها من خلال تخصصه؟ في حينها كنت اعتقد ان Taube يعرف حوالي 1000 مرة أكثر مني؟ وان لم يكن يمتلك الإجابة حول تساؤلي، فلن يفعل أحد. بعد هذا الشعور بالغباء وصدمة **Taube** تيقنت ان مشكلة بحثي تخصني انا فقط، بمجرد ان واجهت هذه الحقيقة استطعت حل المشكلة في غضون يومين فقط. (لم يكن الامر صعب حقاً كان عليّ ان اجرب بعض الأشياء. المهم ان يكون الشعور المذكور محرراً لا مثبطاً. الحقيقة والكلام للسيد **Martin** ان دراسة الدكتوراه تلحق الضرر بالطلبة بطريقتين، **الأولى**، ان الطلاب لا يعلمون ولا يطلعون على فهم مدى صعوبة اجراء البحث. وبالفعل معرفة هذه الصعوبة واخذها بعين الاعتبار مهم فهو اصعب بكثير من الكورسات الدراسية في المرحلة التحضيرية بكثيروما يجعله بهذه الشاكلة من الصعوبة هو الانغماس في المجهول، لأننا لانعرف ماذا نفعل؟

الصعوبة تنبثق بشكل كبير من اختيار المشكلة؟ ووضع الفرضية بشكل صحيح والقيام بالتجربة بالشكل الصائب حتى نحصل على النتيجة، وبالحقيقة العلم اصبح اصعب مع المنافسة للحصول على المنح والنشر في المجلات الرصينة، وبغض النظر عن ذلك فأن اجراء بحوث مهمة ورصينة أمر صعب في جوهره ولن يسهم تغيير السياسات الإدارية أو المؤسسية في تقليل تلك الصعوبة الجوهرية .اما **ثانيهما** نحن لا نقوم بعمل جيد بما يكفي لتعليم طلابنا بالدراسات العليا بأن يكونوا اغبياء بشكل منتج " **اذا لم نشعر بهذا الشعور فهذا يعني اننا لم نحاول بشكل جيد**". بالحقيقة لا نقصد **الغباء النسبي** حين يقرأ الطلاب المواد الدراسية بشكل جيد بينما انت لا تفعل، ولا عن **الغباء المطلق** عندما يعمل الأشخاص الاذكياء بمجالات غير مجالاتهم ولا تتناسب مع مواهبهم. **الغباء المنتج** هو حقيقة وجودية متأصلة في جهودنا لشق طريقنا الى المجهول. ان التركيز على المشاكل العلمية المهمة والمستحدثة يضعنا في موقف حرج من الجهل. أحد الأشياء الجميلة في العلم هو أنه يسمح لنا بالتعثر، وفهمه بشكل خاطئ مرة بعد مرة، والشعور بالراحة تمامًا طالما أننا نتعلم شيئًا في كل مرة. لا شك أن هذا قد يكون صعبًا على الطلاب الذين اعتادوا على الحصول على النجاح بسهولة في المراحل الدراسية الاولية. لكن تبقى الحقيقة كلما تعمقنا في المجهول زاد شعورنا بالغباء ولكن زادت احتمالية تحقيقنا اكتشافات كبيرة على مستوى العلم مدار مشكلة البحث. وفي النهاية يحضرني بيت الشاعر أبو الطيب المتنبي وكأنه يتحدث عن الجهد العتيد الذي يحمله الباحث الحقيقي في مسالك العلم:

ذو العَقلِ يَشقَى في النّعيمِ بعَقْلِهِ وَأخو الجَهالَةِ في الشّقاوَةِ يَنْعَمُ

المصادر

1- Martin A. Schwartz, The importance of stupidity in scientific research, Journal of Cell Science, 121, 1771, doi:10.1242/jcs.033340 .
2- https://medicine.yale.edu/
3- https://www.ncbi.nlm.nih.gov/ (National Library of Medicine)

تاريخ قبول النشر/2023/8/28 Arcif = 0.1538
Iraq Journal For Economic Sciences / ISSN:1812-8742 / ISSN ONLIN:2791-092X
https://doi.org/10.31272/IJES2024 80.A2